

جهود المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية المستشرقون الألمان نموذجاً

بن يوسف شتيح

ملخص المداخلة :

لا يزال موضوع تحقيق المخطوطات العربية وغيرها اشكالا يحتاج الى مدارسات وحوارات علمية واعية باستمرار نظرا لما يكتنفه هذا الموضوع الحساس من اهمية قصوى وتبقى جهود الباحثين والاكاديميين المهتمين بالمخطوط في حاجة الى تقييم وتدعيم تارة والى تطوير وتحديث تارة اخرى.

وان جهود الباحثين العرب ظلت تترا لإحياء التراث والمحافظة عليه وإخراجه الى الناس ولكن اعداد المخطوطات في ارجاء المعمورة فاقت كل تصور وتجاوزت كل تقدير مما يؤكد أن أي قمارون او تغافل في شأن المخطوط يعد جريمة لا تعتذر في حق تراثنا العربي وانتمائنا القومي و هويتنا الوطنية .

ولكن من الانصاف ان نلتفت الى جهود بذلت من قبل فئة المستشرقين الذين اشرأبت اعناقهم نحو تراثنا العربي وميراثنا الثقافي فطفقت تستثمر الخبرات وتكثف الجهود للاعتناء بالتحقيق والتدقيق فكان لهم منهجهم في نشر المخطوطات وانفردوا بشيء من القواعد في هذا السياق فكانت لهم اليد الطولى والفضل الذي لا يجحد في نشر بعض النوازل من مخطوطاتنا . فقد اعتمدوا في نشرهم للنصوص العربية على القواعد الاوربية في نشر النصوص الكلاسيكية اليونانية واللاتينية وهي قواعد كانت غاية في الدقة كما وصفها بعض الباحثين . وتأني هذه المداخلة لتميط اللثام عن تلك القواعد التي وضعها المستشرقون الالمان في تحقيق النصوص وبيان كيفية الاستفادة منه . والوقوف على تلقي الآخر للتراث العربي وكيف تعامل معه بإنصاف ام بإجحاف ؟ وماهو دور المدرسة الإستشراقية الالمانية في هذا المجال ؟ وهل يمكن ان يتخذ من جهود المستشرقين ارضية لتوحيد الرؤى وتقريب وجهات النظر ؟ .

تمهيد

اهتم العرب في الربع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه وكان المستشرقون قد االى نشر هذا التراث منذ اواخر عام فنشروه متبعين نهجاً علمياً دقيقاً مع ضعف فريق منهم باللغة العربية او اطلاق آخرين منهم عليها وشاء العرب أن يحدوا حذو المستشرقين في تحقيق النصوص ، فنجح أناس اوتوا العلم والنهج العلمي ، وأخفق آخرون اعوزهم المهج الذي ينبغي اتباعه في النشر ، وحاول هؤلاء نشر نقصهم هذا بالغرض مما نشر المستشرقون وأخذوا به ثم زاد الاستخفاف بما نشر المستشرقون وبالنهج الذي اتبعوه ، عن الجهل بالنهج العلمي وعصبية ضده ، ورأينا ناشري نهج في نشره منهجاً ويرغم انه ابتدع طريقة

"ومن الانصاف ان تقرر ان المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي ، منذ القرن الماضي وأنهم اولى نبهنا الى كنسنا ونوادير مخطوطاتنا وأنهم وضعوا بين ايدينا نصوصاً لولاهم لم نعرفها . نضرب على ذلك مثلاً : سنة 1922 هجري نشر وستلفد معجم البلدان لياقوت ، وفي سنة 1819 م نشر فريتاغ المنتخب من تاريخ الامين العدم . ولم يصدر حتى اليوم طبعت عندنا احسن منهما

طبق المستشرقون في نشرهم النصوص العربية القواعد التي تتبع في اورية لنشر النصوص الكلاسيكية : اليونانية واللاتينية . وهي قواعد دقيقة تتضمن الامانة في إخراج النص ، وتضمن ان ياتي النص المنشور كما وضع في الأصل وقد طبقت هذه القواعد في هذا القرن ، في نشر النصوص العربية ، جمعية المستشرقين الألمان DMG في نشرها Bibliotheca islamica التي كان يشرف عليها المستشرق الكبير هـ رويتر . وطبقتها جمعية غيوم Association Guillaume Budé في فرنسا وتبعها من جميع المستشرقين وكان على ناشري النصوص العرب اتباع الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها ، او اقتباس الجيد منها . والذين فعلوا ذلك قلة¹ .

ولأن وقد ظهرت في البلاد العربية نخبة علمية قوية ، ومال كثيرون الى نشر النصوص القديمة ، ومال كثيرون الى النصوص القديمة ، واختلفت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا كان لابد من وضع قواعد عملية دقيقة بنهج المحققون ، وتوج دها الطرق في التحقيق والنشر .

1/- المستشرقون وخدمة التراث العربي :

أ- جمع المخطوطات العربية :

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الاسلامي . وكان هذا العمل على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم .

• صلاح الدين المنجد ، قواعد تحقيق المخطوطات دار الكتاب الجديد بيروت ط 7 - 1978 ص 7 - 8
"وكان بعض الحكام في اوربا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق ان تحضر معها بعض المخطوطات .

وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبا وتنشيطها . ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام 1798 م تزايد نفوذ أوروبا في الشرق وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات . وكانت الجهات المعنية في أوروبا ترسل مبعوثيها لشراء مخطوطات من الشرق . فعلى سبيل المثال أرسل (فريدريش فيلهلم الرابع) ملك بروسيا (ريتشارد ليسوس) إلى مصر عام 1842م و(هينريش بيترمان) عام 1852م إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية .

وقد تم جمع المخطوطات من بطرق مشروعة وغير مشروعة ، ولقد لقيت هذه المخطوطات في أوروبا اهتماماً عظيماً وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف النخطوط وصفاً دقيقاً وتشير إلى محتوياتها من موضوعات وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه... الخ وبذلك وضعت تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصوريها بـلا روتين أو إجراءات معقدة .

وقد قام الوارد ahlwardt بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فناء ودقة وشمولاً . وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي وإشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط . وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة وتقدير المخطوطات العربية الإسلامية في مكتبات أوروبا بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف . وهناك دراسات للمستشرقين عن هذه المخطوطات في مجالات عديدة . وعلى سبيل المثال باحثة من المستشرقين بإعداد بحث عن نوادر مخطوطات القرآن الكريم في القرن السادس عشر قال عنه الشيخ امسن الخولي بعد أن سمعه أثناء حضوره لمؤتمر المستشرقين الدولي الخامس والعشرين

"لقد قدمت السيدة كراتشكوفسكي بحثاً عن نوادر مخطوطات القرآن في القرن السادس عشر ميلادي والتي اشترك في أن الكثيرين من أئمة المسلمين يعرفون شيئاً عن هذه المخطوطات وأضن هذه مسألة لا يمكن التساهل في تقديرها"¹

وهنا كلمة حق يجب أن يقال وهي أن انتقال هذا العدد من المخطوطات إلى أوروبا بوسائل شرعية أو غير شرعية قد هيا لها أحجث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة . وعندما أقول هذا أشعر بالأسى والحصرة لحال المخطوطات النادرة في كثيراً من بلادنا العربية والإسلامية وما أُل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها .

(ب) التحقيق والنشر :

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر فقد قاموا بتحرير الكثير من الكتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما حسبه أصحابها أعدوها وأضافوا إلى ذلك فهرس إيجدية للموضوعات والأعلام وأثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها وقاموا ببعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحاً مفيداً .

وهكذا استطاعوا أن ينشرو عدداً كبيراً جداً من المؤلفات العربية كانت عوناً كبيراً للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق . وقد عرفنا الكثير من كتب التراث

محققاً ومطبوعاً على أيديهم . ومن بين هذه الكتب نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - "نشرهم لسيرة ابن هشام والاعتقان لسيوطي والمغاز لواقدي والكشاف لمخشي وتاريخ الطبري وكتاب سيويه والاشتقاق لابن دريد الانساب لسمعاني ومعجم الادباء لياقوت وتجارب الامم لبن مسكويه وفتوح مصر والمغرب والاندلس لابن عبد الحكم واللمع لأبي نصر السراج والبديع لابن المعتز وحي بن يقظان لابن طفيل والمختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي والملل والنحل للشهرستاني ، وعمدة عقيدة اهل السنة والجماعة للحافظ النسفي وفتوح الشام لابن البصري وفتوح الشام للواقدي والكامل للمبرد والجمهرة لابن دريد واخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب المناظر لابن هيثم ولاصباة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني والأحكام السلطانية للماوردي وفوائح الباطنية للغزالي وتايخ يعقوبي والفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفة والتعريفات للجرجاني وطبقات الخطاء للذهبي ووفيات الأعيان لابن خلكان وتهذيب الاسماء للنووي وصحيح البخاري والمقتضب لابن جني ومقالات الإسلاميين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان الداني والرد الجليل على مدعي الوهية المسيح بصريح الانجيل للغزالي وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصبعه والاعلام للاصفهاني والاولائل لسيوطي والطبقات لابن سعد وعيون الاخبار لابن قتيبة والفقهاء الاكبر لأبي حنيفة وعند هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة " ¹

2- /إسهامات المدرسة الاستشراقية الألمانية في خدمة التراث

إن ما قدمه المستشرقون للتراث العربي شيء لا ينبغي أن يجحد، والإستشراق بمدارسه المتنوعة لكل مدرسة منه كونه المستقل من حيث الأهداف والرواد والمؤسسون، والأسلوب المنهجي والعلمي الذي خدمت به هذا التراث . ويرى بعض الباحثين في الظاهرة الإستشراقية أن المستشرقين ليسوا على خط واحد في تعاملهم الإيديولوجي مع التراث العربي أدبياً كان أم لغوي، وليسوا على مسافة واحدة حيث أمكن تصنيفهم إلى صنفين إثنيين : فمنهم المتحاملون الحاقدون الذين ما درسوا التراث إلا لأهداف مسبقة معلنة وغير معلنة، وهذا توجه أغلب المدارس الإستشراقية . وهناك المنصفون اللذين إلتزموا الحياد العلمي الظاهر، بل منهم المنبهرون بالتراث العربي والمدافعون عنه أحياناً . جر ذلك عليهم الكثير من الأتعاب والأذى .

و من المدارس الإستشراقية التي صنفها الباحثون ضمن هذه الظاهرة؛ المدرسة الألمانية التي كان لها الإسهام الوافر لا سيما في مجال الأدب و اللغة العربية، و هذا البحث يناقش في إنجاز الجهود اللغوية التي قدمها الإستشراق الألماني، و ذلك من خلال أبرز الشخصيات التي قدمت للعربية جهداً لا ينكر، و يرمي أهم الخصائص المنهجية و الذاتية التي إنفردت بها المدرسة الألمانية .

لقد أصبح الاستشراق اليوم علماً له كيانه ومنهجه، ومدارسه وفلسفته، ودراساته ومؤلفاته وأغراضه وأتباعه، ومعاهده ومؤتمراته.. وهو اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصرًا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع لدراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه، ولقد نالت ظاهرة الاستشراق حظاً وافراً من الدراسات والأبحاث، واختلفت الآراء حولها، وكانت محط جدل واسع بين مؤيدين ومعارضين، بل نستطيع الجزم أن هذه الظاهرة من أكثر المسائل إثارة للجدل والنقاش، وسوف يستمر لأزمة لاحقة، حتى يتم فهمها فهماً علمياً بعيداً عن التعصب والولاء، والهوى والأحكام المسبقة.

وكثيرة هي الدراسات والمؤلفات التي غرقت في إبراز وتحليل الجوانب الفكرية، والأيدولوجية لظاهرة الاستشراق إلى حد التطرف في أن كل ما أنتجه المستشرقون حول الدراسات الإسلامية والعربية ملغوما ولا يمكن اعتباره من المراجع العلمية الموثوقة، وغرق فريق آخر في التبجيل والتعظيم لما أنتجه المستشرقون عن الشرق وحضارته وآدابه وكل ما يتعلق به، "والدراسات الاستشراقية وإن كانت قد تعددت أغراضها، وتباينت أهدافها إلا أنها لم تكن خالية من الفائدة العلمية التي لا مناص لنا من الاعتراف بها فالمستشرقون قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية والشرقية وفهرستها، وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية والمتعارف عليها، ونشروها نشراً علمياً خالصاً، وترجموها إلى اللغات العلمية، وعرفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا، ومن هنا فإن هذه الدراسات الاستشراقية تستحق منا الإطلاع عليها ودراستها لا بالثناء المطلق، ولا بالتحامل المطلق، بل نخضعها لمعايير البحث العلمي الصارم، ومهما بلغت هذه الدراسات من الموضوعية في مضمونها إذا سلمت من التعصب والهوى، فإنها لا تخلو من هنات وأخطاء لغوية أو علمية أو تاريخية سببها الجهل باللغة العربية أو اللغات الشرقية الأخرى، فهؤلاء القوم مهما بلغت معرفتهم بلغتنا وحضارتنا، فقد يغيب عنهم فهم العديد من المصطلحات والتعابير اللغوية.. ولا ننسى أن الإطلاع على الدراسات الاستشراقية يقودنا إلى الاستفادة من تلك المناهج العلمية التي طبقها المستشرقون في دراساتهم خاصة تلك المناهج الموسومة بالعلمية والموضوعية، والدقة في التحقيق والاستقراء، كما لا يغيب عن أذهاننا ما يمتاز به المستشرقون من الصبر والمثابرة، وتجشم الصعاب والأخطار، والتضحية بالنفس والمال، تكاد تكون مضرب الأمثال".

لقد ألم المستشرقون بجميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية ولم يدعوا مجالاً إلا وأدلو فيه بدلو، ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا وكان لهم فيها مقال، ولم يهملوا جزئية أو رأياً مهما كان نافعاً، إلا وأشبعوه بحثاً وتحليلاً، فمن واجبتنا أن نطالع على دراستهم ومؤلفاتهم حول تراثنا العربي والإسلامي والحكم عليها من خلال المنظار الموضوعي بعيداً عن التعصب والأحكام المسبقة. وفي حدود علمنا تعد الدراسات العربية حول الإنتاج الاستشراقي في مجال اللغويات الإسلامية عموماً غزيرة كالمستشرقين والقرآن أو السنة النبوية أو السيرة والتاريخ الإسلامي أو الفقه والتشريع وغيرها. أما حول الإنتاج الاستشراقي في مجال الدراسات اللغوية والأدبية فقد كان قليلاً لا سيما الأبحاث والدراسات المتعلقة بالدرس اللغوي عموماً، فلقد أسهم فيه المستشرقون بقسط كبير، ولم يزل ما يستحق من العناية والدرس. وكان حظ المدارس الاستشراقية الكثيرة متفاوتاً في الدراسات اللغوية والأدبية، فبعضها جمع بين المجالين، وبعضها نما منحي التخصص. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن عناية الاستشراق باللغة العربية تركز على "دراسة كل ما يتصل بها فيبحث في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، وصرفها ونحوها، ومعاجمها، وأطوارها، ومادتها، وبلاغتها، وفلسفتها، وعلاقتها باللغات الأخرى، خاصة السامية، وميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدو وكأنه قد صب اهتمامه كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالقرآن والحديث والشرعية على حد سواء."¹

(أ- من خصائص المدرسة الاستشراقية الألمانية:

وكان الاختصار على هذه النخبة من المستشرقين الألمان عينة تنبئ عن مدى الشغف الذي سيطر على نفوس الباحثين في الشرق ولغته من كبار المدرسة الألمانية. ولا يعني ذلك أن ما ذكر من هذه الأسماء اللامعة، أنه لا يوجد غيرهم من الذين كرسوا أعمارهم في البحث عن اللغة وأسرارها، وعلومها، وفقهها إلى غير ذلك. "فلقد احتل المستشرقون الألمان بالعربية منذ فترة مبكرة، فقد نشر الألماني "فلهلم بوستل" "wilhelm postel" سنة 1538م مصنّفه الأول في "قواعد العربية" "Grammatica Arabica" ولكنه كان باللاتينية كما هي الحال السائدة في أوروبا آنذاك. وقد زاد نشاطهم واهتمامهم بالعربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي فترة طويلة نسبياً صنفوا خلالها كثيراً من البحوث العلمية والكتب التعليمية، وتأثرهم واضح بالدرس اللغوي عند العرب، خاصة الجليل الأول منهم مثلاً: "فلايشر" "Fleischer"، و"كاسپراي" "Caspori"، و"ركندورف" "Reckendorf"، ثم أخذ يقل تدريجياً إلى أن أصبح بدرجة أقل عند "سوتزين" "Socin" و"بروكلمان" "Brochelman" وقد اهتم المستشرقون في الماضي بالفصحى التراثية التي أسماها العربية الكلاسيكية، ثم اهتموا بالعربية المعاصرة التي أسماها بالعربية المعاصرة المكتوبة، والعاميات المعاصرة. "وقد تناول بعض الدارسين جهود الألمان اللغوية، وأولوها عناية خاصة ذلك لما تمتلكه هذه المدرسة من تراث واسع حول اللغة العربية على وجه التحديد.

والمدرسة الألمانية الاستشراقية كغيرها من المدارس الأخرى قد جعلت العرب والمسلمين وتراثهم وحضارتهم موضوعاً للدراسة سخرها ما بوسعهم من جهد مادي ومعنوي للتحقيق ما يهدفون إليه من وراء اهتمامهم المتيز بالشرق ولكن لكل مدرسة استشراقية خصائصها وخطتها وخلفيتها الفكرية والمذهبية تتجلى أثناء البحث والدراسة

لشؤون الشرق عموماً والشرق العربي والإسلامي على وجه الخصوص ولكن " يتميز الاستشراق الألماني بميزة خاصة حيث لم يرتبط إلا في القليل النادر بالاستعمار الذي سيطر على عالمنا الإسلامي ردحا من الزمن، ومن هنا حظي بسمعة طيبة، وذلك فضلاً عن تميزه في كثير من الأحيان بالموضوعية. ونذكر في هذا المقام كتابات العديد من المستشرقين الألمان بدءاً من "رايسكه" وانتهاء "زغريد هولكه" و"أناماري شميل" في العصر الحاضر. وهناك بطبيعة الحال أمثلة أخرى كثيرة تتسم بتلويحات سلبية سواء كان ذلك عن قصد أو سوء فهم للنصوص، أو خطأ في الاستنتاج أو غيرها.

لقد تناول بعض الباحثين في الشؤون الاستشراقية الاستشراق الألماني بالدراسة الوافية، وقد سبقت الإشارة إلى أولئك المهتمين بهذه المدرسة وما ألفوه حول روادها وأبرز سماتها الفكرية، وأصولها المنهجية وأهم توجهاتها

في دراسة التراث العربي والإسلامي، والمراحل التاريخية التي مرت بها. " فأهم السمات التي اتسم بها الاستشراق الألماني ما يلي :

- تعدد بحالاته سواء أكان ذلك في موضوعات الاستشراق التقليدي أم في الموضوعات المعاصرة.
- أن علم الشرق المرتبط بالعصر الحاضر، يقصد منه دراسة الشرق على مستوى العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية.
- عدم اختفاء الهدف التصيري في أعمال عدد من المستشرقين الألمان حيث ساهموا في رحلات البحث إلى فلسطين على اعتبار أنها أرض الكتاب المقدس، كما تم إنشاء المعهد الانجليزي في فلسطين.
- كان الهدف الاستعماري من بين الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بالدراسات المعاصرة في العالم الإسلامي، ويظهر ذلك في أعمال "كارل هينرش بيكر"، والذي أسس معهد المستعمرات في هامبورج.
- تميز الاستشراق الألماني بوجود التخصصات البينية للمساهمة الشاملة في دراسة الشرق حيث تتعاون تخصصات غير استشرافية مع تخصصات استشرافية في إصدار أعمال شاملة عن الشرق.
- وجود معاهد بحث خاصة بالأبحاث المرتبطة بالشرق، وغير تابعة للجامعات مثل معهد "ماكس بلانك".
- رغم التطورات العديدة التي طرأت على الاستشراق الألماني، وميل غالبية الباحثين إلى الدراسات المعاصرة، إلا أن الإستشراق التقليدي لا يزال الأساس الذي يعتمد عليه الاستشراق المرتبط بالعصر الحاضر.¹
- وكان اهتمام المدرسة الاستشرافية الألمانية كغيرها من المدارس الأخرى ببعض القضايا التي لا تخلو من أهداف وأغراض، ولكن قد تكون بدرجات متفاوتة بين المدارس الاستشرافية كقضية التصوف والمتصوفة لاسيما ما يعدونه من قبل الاضطهاد ومصادرة للحريات لفئة من أهل التصوف الذين كانت لهم آراء شاذة كالحلاج، وابن عربي وغيرها.

وقضية اللهجات، واللغات الدارجة والتي قدم فيها المستشرقون عموماً دراسات مستفيضة، ومسألة الفرق الإسلامية وطروحاتها الفكرية والعقدية خاصة تلك التي عالت عبر التاريخ كالمعتزلة والشيعة وغيرها من المسائل التي

جذبت انتباه المستشرقين وقدموا فيها رسائل أكاديمية ونالوا بها رتبا علمية مرموقة. وعن الأصول المنهجية المدرسة الألمانية فقد عدها الدارسون فرنسية الينابيع والأصول " ففي مطلع القرن التاسع عشر وبفضل العلامة "دي ساسي" أستاذ العربية والفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس الذي جدد الدراسات العربية، ولاسيما علمي النحوي والصرف في أوروبا جمعاء، فقصده الألمان وغيرهم، وتعلمذوا عليه وتأثروا به ومن أشهرهم "فلايشير" و"إيفالد" فعلا مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا وتخرجاً عليهما كبار المستشرقين².

ويرى الباحثون في الاستشراق الألماني أنه مر بتطورات متعددة خلال تاريخه " فمع انتهاء الحرب العالمية الأولى يلاحظ اتجاه علماء الدراسات الإسلامية بقوة نحو الموضوعات التاريخية والتركيز على العمل الفيلولوجي، فقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتقال السلطة إلى النازيين، إلى إبعاد عدد من المستشرقين الألمان المشهورين إلى الخارج بعد 1933 لأسباب سياسية وعنصرية، وقد كان النازيون يميلون إلى التقليل من الدراسات الشرقية، وذلك

بإدعاء أن الدعم للاستشراق لمدة عقود طويلة أدى إلى تحويل النظر عن دراسة الثقافة الألمانية المميزة.. وقد أدى هذا إلى أن تحتل علوم الإسلام مكانة ضئيلة في خريطة البحث الألماني مثلها مثل علوم الاستشراق بصفة عامة.¹ ويعد صلاح الدين المنجد من المتخصصين في الاستشراق الألماني كما ذكرنا قبل، حيث أثرت عنه دراسات واسعة، أحاطت بشؤون هذه المدرسة المتميزة في نظره. فكتب تحت عنوان: "لمحات من عظمة الاستشراق الألماني" والمتبع لحركة هذا الاستشراق يلاحظ أنه اختص بمزايا واضحة، وهي في رأبي:

● لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية، كالأستشراق في بلدان أوروبية أخرى فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان، وظلت محافظة على الأغلب على التجرد والروح العلمية. وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية بعض الانحراف في الرأي، أو الخطأ، فهذا أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها.

لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية العربية متصفة على الأغلب بروح عدائية. نعم لقد وجد بعض المستشرقين الذين أتوا بآراء لا توافق العرب والمسلمين، أو بآراء خاطئة تماماً كبعض آراء "نولدكه" عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، أو آراء "فوللرز" "Vullers" عن القرآن وتهذيبه، لكن هذه الآراء معدودة، فالأستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا ديدنهم عدااء العرب والإسلام، وتعمدوا الدس والتشويه في دراساتهم، بل العكس وافقت هذه الدراسات روح إعجاب

• وتقدير وحب وإنصاف، فعلى سبيل المثال نجد "رايسكه" سمى نفسه "شهيد الأدب العربي". حتى إن بعضهم أسلم حبا للعربية والإسلام مثل: "ريشر" الذي سمى نفسه "عثمان" بعد إسلامه، وقد نال بعضهم الكثير من المتاعب والأذى في سبيل العربية، ومنهم من كف بصره وهو يبحث لسنوات في النصوص العربية يحققها على نفقته الخاصة.

• المنهج العلمي الدقيق الذي يعتبر عند بعضهم مثالا نادرا يتخذ.

ولست أنكر أن في إنتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا وأغلاطا، ولكن يكفي أنهم عملوا بحماسة وحب بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر، ولقد استدرك بعضهم على بعض بإخلاص، وصحح بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقا يقبلون كل نقد وتصحيح.²

سبق التعرض في المبحث السابق لشخصيات استشرافية من المدرسة الألمانية كان لها العطاء العزير في ميدان الدراسات العربية وتركوا البصمات الواضحة على تراثنا العربي، وكان الوقوف على أبرز هذه الوجوه العلمية على سبيل التمثيل وليس الحصر، وقد نالت هذه المدرسة قسطا من البحوث والمؤلفات من قبيل الجمع والاستقصاء، أو النقد والتقييم فبالإضافة إلى موقف ادوارد سعيد من الاستشراق الألماني الذي أشير إليه آنفا. وهناك آخرون برأوا ساحة هذه المدرسة من الخلفيات الإيديولوجية أو الأهداف غير العلمية

ومن بين هؤلاء "صلاح الدين المنجد الذي كان أكثر من كتبوا عن الاستشراق وتعاطفوا مع الاستشراق الألماني، وتبرئته من التبعات غير العلمية التي ألصقت بالمستشرقين من جنسيات أخرى، وظهر منه ذلك في عدد من الدراسات الهامة، والأعمال

المتخصصة، والتي ركز فيها على هذا النوع من الاستشراق منها: "المستشرقون الألمان وتراجهم وما أسهموا به من الدراسات العربية"، ومنها: "المنتقى من دراسات المستشرقين"، وكذلك: "الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله".¹

(ب) نماذج من المستشرقين في المدرسة الألمانية

تمثل جهود المستشرقين على مدى تاريخهم الطويل بما في ذلك المدرسة الألمانية في أعمال مختلفة تشكل في مجموعها كلا واحدا لخصها المهتمون بشؤون الاستشراق في جملة من الأعمال الكبرى يأتي في مقدمتها: التدریس الجامعي حيث لا تكاد تكون هناك جامعة في أوروبا أو أمريكا إلا وقسم أو معهد منها خاص بالدراسات العربية والإسلامية بل يوجد أحيانا في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق مثل جامعة "ميونيخ" تقوم هذه المعاهد بالتدريس وتعلم العربية وتخرج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه، ولكل معهد مكتبة عامرة بالكتب العربية والإسلامية وكان اهتمام المستشرقين بجمع المخطوطات منقطع النظر منها على وعي عميق بقيمتها وما تحمله

• أحمد محمد هويدي الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وأوجهاته المستقبلية، دار التعاون للطبع والنشر القاهرة 2000-ص 163

• أحمد محمد هويدي الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وأوجهاته المستقبلية، دار التعاون للطبع والنشر القاهرة 2000-ص 163

• صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان دار الكتاب الجديد بيروت ط 1 1978 ص 1-7-8-12

من تراث غني في شتى المجالات العلمية.. وقد قام المستشرق "آلوارد" "Ahlwardt" بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة "برلين" في عشرة مجلدات بلغ فيها الغاية فناء ودقة وشمولاً صدر في القرن التاسع عشر واشتمل على عشرة آلاف مخطوط، ومن الإنصاف القول أن انتقال هذا العدد الهائل من المخطوطات إلى أوروبا قد ساهم إلى الآلاف قد قُمِيَّتْ له وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة². ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث، وقابلوا الفروق بين النسخ وأثبتوها، ورجحوا ما حسبه الأصح والأعدل، وأضافوا إلى ذلك فهرس أبجدية للموضوعات والأعلام، وقاموا أحياناً ببعض الشروحات لبعض الكتب فكان عملاً مفيداً. ومن الكتب الكثيرة نذكر على سبيل المثال: الحصر: الإتيان للسيوطي، وكتاب سبويه، والاشتقاق لابن دريد، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، واللمع لابن نصر السراج، والبديع لابن المعتز، والكامل للمبرد، والجمهرة لابن دريد والتعريفات للجرجاني، والمقتضب لابن حبان والأغاني للأصفهاني، وعدد هائل من الدواوين وكتب لا حصر لها في الشؤون الإسلامية.

ومن الوسائل التي عمد إليها المستشرقون في خدمة التراث أنهم "قاموا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، وتعددت أيضاً مجالات التأليف عندهم، فبلغ عدد ما ألفوه في الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاباً، وفي بعض ما ألفوه قائمة علمية للباحثين، ولهم مؤلفات مليئة بالطعن في الإسلام، وهذا ما تصدى له العلماء والباحثون³ غير أن ما لاحظ الدارسون للظاهرة الاستشراقية أن معظم الدراسات التي أجراها المستشرقون حول الثقافة الإسلامية عموماً لم تخل من أغلبها من التشكيك وإثارة الشبهات، وبث السموم تحت تأثير الأهداف السياسية غير المعلنة، ولكتنا نلاحظ أن الأمر يختلف عنه في الدراسات اللغوية والأدبية إلا شيئاً قليلاً مقارنة بالدراسات الإسلامية التي كانت أكثر حرصاً للتشويه والتلغيم.

وتعد المدرسة الاستشراقية الألمانية رائدة في الدراسات اللغوية على وجه الخصوص بفضل كثرة روادها فقد أحصينا في كتاب العقيلي "المستشرقون" وحده عدداً جاوز 240 مستشرقاً¹. ناهيك عن المعاجم التي ألقت تحصى تراجم المستشرقين الألمان وغيرهم على اختلاف مدارسهم وتفاوت إسهاماتهم وإنتاجهم الثقافي لغويًا كان أم أدبيًا أم إسلاميًا. وبالرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية الأولى وانشقاقها عن الكاثوليكية بعد الثورة الدينية التي قادها "مارتن لوثر" وبالرغم من تدييع بعض الكتب عن اللغة العربية وخاصة كتاب "كريستمان" الذي أعده لتعليم كتابة الحروف العربية منذ 1585 م، وبالرغم من حاجة المذهب البروتستانتي الجديد لدراسة التوراة لمقارنة ومجادلة الكاثوليكية، فإن الدراسات الاستشراقية الألمانية لم تزد من الإثارة القرن الثامن عشر خلافاً للبلدان الأوروبية الأخرى، وبلغت هذه الدراسات أوجها بعد أن خرج علي بن أبي

علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، (د-ت).

² - محمود حمدي زفروك، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2008، ص 58-59.

³ - نفس المرجع، ص 59-60.

ساسى "عشرات من المستشرقين الألمان"².

وسوف يطول بنا المقام لو رحنا نستعرض المستشرقين الألمان ومساهماتهم العربية والإسلامية، وما يهملنا الحديث عنه هو أهم الأعمال والمنجزات التي لفتت أنظار الباحثين العرب في المجال اللغوي، وأولوها عنايتهم الخاصة، معترفين أن ما قدمه المستشرقون من المدرسة الألمانية لا ينبغي الاستهانة به، أو تجاهل القيمة العلمية لجل الدراسات الاستشراقية لهذه المدرسة في اللغة العربية وعلومها وآدابها، واختار فريق ثالث الدراسات الإسلامية والعربية ليضرب في كل من ولى وجهه شطر اللغة العربية وعلومها وآدابها، واختار فريق ثالث الدراسات الإسلامية والعربية ليضرب في كل منها بسهم وافر، وإنتاج زاخر. وتمتاز المدرسة الاستشراقية الألمانية عن غيرها من المدارس الكثيرة على وجه العموم بجملة من الخصائص حيث " يؤكد معظم الباحثين العرب أن الاستشراق الألماني لم يخضع لغايات سياسية أو دينية أو استعمارية بحجة أن ألمانيا لم يتح لها استعمار البلاد الإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق، وهذه الخاصية ليست صحيحة في إطارها العام لأن الاستشراق الألماني كان مبعثه تحقيق الأهداف الدينية.. وإن ألمانيا لم تتعفف عن استعمار البلاد العربية والشرق، ولكن الظروف الدولية منعتها من ذلك، خاصة المنافسة البريطانية لها، ولا يمكن أن نرى ألمانيا من نواياها الاستعمارية. ولقد تميز الاستشراق الألماني بالدراسات الشرقية القديمة والحقبة الإسلامية واهتم بالآثار والأدب والفن، وهذا النوع من الدراسات عادة ما يكون خالياً من تحقيق أي غرض من الأغراض السياسية. وإن هذه المدرسة امتازت أيضاً عن غيرها بغلبة الروح العلمي على أبحاثها والتي تتسم غالباً بالموضوعية والتجرد والإنصاف، وهذه الروح التي امتازت بها المدرسة الألمانية مبعثها تلك الخصال المميزة للشعب الألماني المجهول على الدقة البالغة، والعناية الفائقة، والصبر الجميل، وإتباع المنهج العلمي الصارم بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها، ومع ذلك لا يمكن أن يخلو من تحقيق أهداف سياسية. نعم لقد جاءت الدراسات الاستشراقية الألمانية خالية من العداء للعرب أو التحامل عليهم. والسبب في ذلك في رأينا هو اهتمام هذه المدرسة بالتراث العربي القديم والآداب والآثار القديمة، وكان اهتمامها مميزاً في الدراسات النحوية، والصرفية والبلاغية والعروضية، وفي فقه اللغة."³

ومهما يكن من خلاف في مسألة الأهداف السياسية والدينية في نشاط المدرسة الألمانية فإننا نؤكد مرة أخرى على أن أعمال المستشرقين عموماً في الدراسات الإسلامية لا تخلو من الشبهات والأحقاد والطعون، فهو ظاهر لا يستطيع المستشرقون أن يتجاوزوه، ولكن دراساتهم في مجال اللغة يكاد يخلو من التعصب والهوى والكراهية والعداء رغم التباين العقدي والفكري والمنهجي والحضاري.. ولذلك لا يمكننا بحال من الأحوال " أن ننكر مساهمات المدرسة الألمانية في نشر الثقافة الإسلامية، وبيان الحضارة العربية، وذلك لما نشرت من نصوص قديمة ساعدت على نشر آلاف من أمهات الكتب العربية والإسلامية. وجعلتها ميسورة للمثقفين الغربيين، كما كانت مجهوداتها

² يرى بعض الباحثين ضرورة الإشارة إلى أنه منذ صدور كتاب نجيب العقيقي وعبد الرحمن بدوي حول المستشرقين، وقبل أكثر من ثلاثين سنة لم تصدر كتابات تهتم بسير المستشرقين المعاصرين وتراجهم.

³ - ساسى سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، ص 155.

³ - نفس المرجع، ص 160، 161، 162.

لا تنسى ولا تجحد في مجال فهرسة المخطوطات العربية، ولقيامها بتصنيف العديدين من المعاجم العربية، واهتماماتها بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية، وإتباعها المنهج العلمي دقيق فرضته الطبيعة الألمانية وخصال شعبها، واهتمام هذه المدرسة بعد الحرب الثانية بأحوال الوطن العربي ودراسة من جميع جوانبه، وفهم جميعها خصائص إيجابية لا ننكرها، أو نقل من قيمتها، ومع ذلك تبقى هذه الدراسات غير مبرأة من الأهواء، وتغيب أغراض لا علاقة لها بالمنهجية العلمية والموضوعية والحيادية أحياناً¹.

وتألفت المدرسة الألمانية في سماء العلوم العربية وغيرها على أيدي عدد هائل من المستشرقين عظام كعب فوقهم في التأليف والتصنيف، والأبحاث والتحقيق أخذت اللغة العربية محل اهتمام كثير منهم، فكانت التفاوت والنباه ملحوظاً في إنتاجهم كما وكيفاً، وسوف نقتصر على إبرار بعض الشخصيات الاستشرافية الالمانية التي كانت لها اليد الطولى في إثراء الثقافة العربية، والتراث العربي، ونسلط الضوء على الذين عرفوا بغزارة الإنتاج وسعة الإطلاع، وتنوع التأليف، والذين اشتهروا بالإنصاف والروح العلمية، والدقة والعمق في تناول الظواهر اللغوية، ممن شهد لهم بذلك جمهور اللغويين، وتلقوا أعمالهم وإسهاماتهم بقبول حسن، وصنفت على أنها جهود في خدمة التراث العربي لا يمكن تجاوزها أو الاستخفاف بها. وعكف جمع من الباحثين العربية في شؤون الاستشراق وإسهاماته اللغوية أو الأدبية على جمع ودراسة الكثير مما أنتجه المستشرقون من ذلك ما لوحظ أن "البلاغة العربية والنقد الأدبي العربي حظي باهتمام المستشرقين الألمان فقد أصدر "أوجيست فون ميرن" "August von mehren" سنة 1853 كتاباً عنوانه "بلاغة العرب" وقف فيه عند عدد من المصطلحات البلاغية وشرحها شرحاً عميقاً .. ويعد "فلقهارت هاينريش" من أهم المستشرقين المهتمين بالدراسات العربية المتصلة بالأدب والنقد القديمين والبلاغة وله بحوث عديدة منها: مؤلف عن "صلة النقد عند حازم القرطاجني بالنقد عند أرسطو" وقد نشر بالألمانية سنة 1969. ومنها: "يد الشمال": آراء حول الاستعارة. وبحث حول العلاقة بين البديع والاستعارة في الكتابات النقدية العربية القديمة نشر بالانجليزية عام 1984. ومنها بحث حول: "البديع عند أبي نواس". ودراسات أخرى.²

ويعمل بعض الباحثين العرب على جمع أعمال المستشرقين اللغوية ويتناولونها بالتعليق والشرح والتحليل كما فعل "يوسف أبو العدوس" في كتابه "الاستعارة في دراسات المستشرقين". وكتبت مقالات كثيرة على هذا المنوال كالمقال الذي كتبه "ملك ميمون" بعنوان "المستشرقون ودراسة العروض العربي" حيث اعتبر أن من "المستشرقين الذين تناولوا العروض العربي بدراسة والتحليل" فايل "weil" الألماني إذ نجد له مقالا في دائرة المعارف الإسلامية العامة عن العروض، والأخرى للحديث عن النبر، كما نجد "لفايل" "weil" كتاباً خاصاً عن العروض العربي طبع سنة 1958 وهو بالألمانية¹. تلك إشارة عابرة إلى ما بذله المستشرقون الألمان، وسوف نقف على مزيد من التفاصيل لذلك المنتج الزاخر عندما نتعرض لتراجم نخبة من المشاهير، والرواد في المدرسة الألمانية. وقبل ذلك نود أن نشير أن سنة 1960 تحت عنوان "العروض" والمقال من عشر صفحات سبع منها خصصت للمعلومات التاريخية

نفس المرجع، ص 162.

يوسف أبو العدوس، الاستعارة في دراسات المستشرقين فلنهارت هاينريش مؤلفها، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1998، ص 8 وما بعدها.

"ادوارد سعيد" ناقد الاستشراق الشهير الذي استثنى الاستشراق الألماني من هذا البحث. وقدم ثبوتات ذلك في حوارات أجريت معه، لكن هذا الاستثناء شكل مبرراً اعتبرها كثير من النقاد والباحثين صك براءة الاستشراق الألماني من المثالب التي كشفها "ادوارد سعيد" حول الاستشراق الغربي عموماً وقد اهتم النقاد ببحرنة سعيد المعرفية والفكرية والثقافية حيث استثنى بوضوح الاستشراق الناطق بالألمانية من النقد، وذلك لارتباط أغلب الدراسات الاستشراقية المكتوبة بالألمانية بفقه اللغة، وتأسيس مقولة سعيد " بأنه لا ينبغي أن نصنف الاستشراق الناطق بالألمانية في نفس الدرجة التي يصنف بها الاستشراق البريطاني والفرنسي وذلك على فرضية أن مفهوم "الشرق" نتيجة لمشروع ثقافي بريطاني وفرنسي خاص مرتبط بالتورطات البريطانية والفرنسية في الشرق، وكان سعيد يرى أن البلدان الإسلامية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت مستعمرة من قبل بريطانيا وفرنسا فقط وسيطرت عليها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية المصالح السياسية للولايات المتحدة الأمريكية². وهذا الاستثناء للاستشراق الألماني في عهد سعيد قد أثار انتقادات بعض الدارسين، وبغض النظر عن ما وجه إليه من استدراك إلا أن كلامه يعزز ما وصف به الاستشراق الألماني من غلبة الأنصاف والعلمية على أبحاث ودراسات جمهور الألمان للتراث العربي. وفيما يلي نقف عند أبرز الشخصيات الألمانية التي شاعت بإنتاجها الواسع للعربية وعلومها، وآثارها التي لفتت الأنظار.

1. برجستراسر Golthelf Borgstrasser

عاش برجستراسر في الفترة ما بين 5 أبريل 1886 و 16 أغسطس 1933 مسيحي برز في نحو العبرية واللغات السامية عموماً، وعني بدراسة اللهجات العربية، وبالقراءات القرآنية. " تعلم في جامعة "ليبتسك" الفلسفة وعلم اللغة، والفيلولوجيا الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية). ثم تفرغ لدراسة اللغات السامية، وكان أستاذه الكبير فيها "بشر أوجست" وبعد تخرجه عين أستاذاً ثانوياً، ثم حصل على الدكتوراه في 1912 في رسالة عنوانها "حنين بن إسحاق ومدرسته" اهتم فيها بدراسة أسلوب "حنين" — شيخ المترجمين — في الترجمة من اليونانية إلى العربية والسريانية، وفي فبراير 1914 رحل إلى إسطنبول، وسوريا، ومصر، وفي نهاية 1915 دعي أستاذاً في جامعة "إسطنبول" وكلفته وزارة الحربية الألمانية برحلة استكشافية لسوريا وفلسطين سنة 1917، وبعد الحرب الأولى عين أستاذاً في جامعة برلين في 1919³.

" وفي العام الجامعي 1930/1929 و 1932/1931 دعت كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة لإلقاء محاضرات في النحو وتاريخه، وفي فن تحقيق النصوص فنشرت محاضراته في كتاب "التطور النحوي للغة العربية" وكتاب "نقد النصوص ونشر الكتب".⁴ استغل وجوده بالقاهرة لتسجيل بعض الأسطوانات لمختلف القراءات القرآنية

¹- ملك ميمون، المستشرقون ودراسة العروض العربي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والعلوم، الكويت، المجلد 3، العدد 2.

²- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط 4، 1995، ص 52-53.

³- نفس المرجع، ص 85.

⁴- التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997، ص 3.

لعدد من مشاهير القراء في مصر، واطلع على المخطوطات في علم القراءات، كما عني باللغة العامية المصرية وسجل اسطوانات مع الأطفال في القاهرة. "نال دكتوراه في جامعة "ليپزج" عام 1911 عن "استعمال حرور النفي في القرآن الكريم". وكان برحشتراسر يكره "هتلر" ودعوته إلى النازية، وكان لا يرى مانعا من حمل بندقيته والخروج لمحاربتة فدفع إليه "هتلر" بمن يقتله، وكان برحشتراسر مغرما بتسلق الجبال، ففي إحدى المرات، حيث كان يتسلق الجبال، ومعه طالب من طلبته، إذ تعلق الطالب بقدمه فهوى من ارتفاع شاهق إلى قاع الوادي، حيث انهمى حتفه في جبال الألب بنواحي "برشسجادن" جنوبي ألمانيا.¹

أما آثاره فقد تنوعت في نشاط علمي واسع ما بين اللغات السامية، وتاريخ العلوم عند العرب، وقرآن القرآن "فكتب معجم قراء القرآن وتراجمهم، واللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين، وله دراسات حول كتاب: اللامات لأحمد بن فارس، وقراءة الحسن البصري، وقراءة القرآن في القاهرة، والقراءات الشاذة في كتاب "المحتسب" لابن جني، وفي مجال النشر تولى نشر أمهات الكتب العربية فنشر لأبن خالويه: "القراءات الشاذة في القرآن"، و"طبقات القراء" لابن الجزري، وتهذيب اللغة للأزهري، ومن مباحثه: قواعد العربية لأحمد بن فارس، وله في ميدان القراءات القرآنية عمل مميز لما تهيأ له من معرفة واسعة بالكتب العربية المؤلفة في هذا المجال والتي جمع لها مادة ضخمة مثل "الميكروفلومات" من خزائن إستنبول والقاهرة.²

وله في الدراسات الفقهية عمل رائد، ثاقب نذكر على سبيل المثال: "أوليات وخصائص الفكر الفقهي في الإسلام" و"مناهج البحث في الفقه". وكان يدعو إلى عدم المبالغة في دعوى القانون المقارن والبحث عن المؤثرات الأجنبية في الفقه الإسلامي، ومن أعماله اللغوية البارزة والتي تناولها بعض اللغويين "الأطلس اللغوي الذي عمله ليلة ليقيضي شهورا في بلاد الشرق فتنقل بين أرجاء المعمورة باحثا وراء اختلاف اللهجات الدارجة فزار دمشق وحلب والجنوب ثم فلسطين ولبنان وكانت حصيلة هذه التسجيلات أن وضع أطلسا لغويا في 42 خريطة تفصيلية، وواحدة إجمالية مع شرح لغوي مستقل طبع سنة 1915. وكان يرى أن بحث اللهجات العربية قبله كان مقصورا على دراسة كل لهجة محلية دراسة مستقلة، وبين أن هذه الدراسات السابقة تفتقر إلى التكملة بدراسة الفروق اللغوية، في مناطق كبيرة، باستخدام الجغرافيا اللغوية، وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة اللغوية في أوروبا وأمريكا، فإنه لا يزال غض الالهاب في بلادنا وليس لدينا لغتنا العربية، إلا محاولة هذا المستشرق الألماني "برحشتراسر" ولا يخفى ما لهذه الأنواع من الدراسة من الفوائد الجلية على الدرس اللغوي.³

² - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 158.

³ - نجيب العقيقي، المستشرقون، ج 2، ص 450-451، وينظر أيضا عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ص 86-87.

⁴ - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 157-158.

2. فيشير أوجيست Fischer August

" ولد فيشير سنة 1865، وكانت وفاته في 14 فبراير 1949، اختص باللغة العربية نحواً وصرفاً، ومعجماً مواصلاً للدرب الذي رسمه أستاذه اللغوي الكبير "هينرش فليشر" مؤسس مدرسة في الاستشراق الألماني، وعلى منهجه سار، ويقوم هذا المنهج على الاستناد الوثيق إلى الشواهد اللغوية العربية في المقام الأول، وإلى أعمال اللغويين والنحاة العرب، والابتعاد عن الفروض التي قد تكون بارعة ولكنها واهية الأساس. حصل على الدكتوراه الأولى نهاية 1889 من جامعة "هاله" عنوانها: "تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحاق" ونشرها عام 1890، واعتمد على كتب الرجال والتراجم خاصة "ميزان الاعتدال" للذهبي. كان يتمتع بقدرة فائقة في اللغة، وعلى فهم العربية ونصوصها الشعرية الجاهلية.. عمل في معهد اللغات الشرقية في "برلين" من خريف 1896 إلى ربيع 1900 مدرسا للغة العربية وأميناً للمعهد ومحافظة لمكتبته. وفي هذه الفترة أتقن لغة التخاطب العربية، خاصة اللهجة المغربية المراكشية، بفضل مدرس للهجة المغربية يدعى "الجيلاني الشرقاوي" وكانت ثمرة ذلك عدة مقالات عن هذه اللهجة، بدأها بوحدة جمع فيها أمثالا مغربية عنوانها "أمثال مراكشية" وتوالت المقالات في هذا السياق.¹ كان "فيشير" شديد الاهتمام باللهجات العربية الحية لاعتقاده أنه يلج منها إلى استخلاص نظرات ثاقبة في سر العربية وكذلك فهم اللغات السامية بوجه عام. ويبدو أنه سيطر عليه هذا الشغف باللغة العربية اتصاله بالعالم العربي ورحلته إلى المغرب زار أغلب مدنها الكبرى. " وفي عام 1899 شغل كرسي اللغات الشرقية في جامعة "ليبتسك" وهو الكرسي الذي شغله أساتذة "فليشر" من قبل بدأ عمله فيه عام 1900 وكان مركزاً قويا للدراسات الشرقية، وخصوصاً العربية في ألمانيا، فأمرها دارسوا العربية وعلومها من سائر الأنحاء، ويذكر تلاميذه أنه كان نموذجاً في دروسه ومحاضراته من حيث التدقيق في فهم خفايا النصوص العربية التي كان يشرحها، واستمر في منصبه حتى 1939. وبعد تقاعده استمر في التدريس في بيته، ورغم أنه كان في الرابعة والثمانين من العمر كان يشرح لبعض تلاميذه "ديوان امرئ القيس". وكان حريصاً على التأكيد لطلابه على أهمية اللغة العربية ومعرفة دقيقة شاملة للنحو والمعجم والاستعمال اللغوي، وذلك قبل التصدي لأي بحث في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، ويندر من يمتلك هذه الرؤية عند المستشرقين الآخرين.²

ويبدو أنه كان يرى أن دراسة النحو هي لب الدراسات العربية برمتها فقد أخذت المسائل النحوية مكاناً واسعاً في أبحاثه ومقالاته، كما عني بدراسة تاريخ اللغة العربية منذ أقدم نصوصها حتى لهجاتها الحالية، وكان ميالاً إلى تحليل لغة الشعر لأنه وجد فيها أرسخ الشواهد لمعرفة العربية. ومن هنا اهتم بجمع كل الشواهد الشعرية الواردة في كتب النحو وشروح الشواهد. " وفي هذا الميدان صنف "فهرست الشواهد" وهو ثبت شامل للشواهد بحسب القوافي والشعراء. وكان "فيشير" يكره الاتجاه الذي ساد عند المستشرقين الباحثين في القرآن وهو إبراز تأثير الاتصال مع اليهود والنصارى باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ في بيئة عربية وثنية، بعيدة كل البعد عن أي بيئة أخرى. أما عن العربية الفصحى والإعراب فكان يرى أن الفصحى لم تنشأ عن لهجة قريش من الشعر الجاهلي، وأنها لم تكن لغة للعرب القدماء بوجه عام بل لا بد أن تكون قد قامت على لهجة واحدة من لهجاتهم. وفيما يتصل بالإعراب يرى

"فيشير" أن سكان مكة والمدينة وأجزاء من المناطق المحيطة كانوا قد تخلوا عنه في زمن النبي وقبله، ويرى أن ثمة أربعة أصناف مميزة للغة العربية وهي 1. لغة الشعر الجاهلي 2. لغة القرآن. 3. لغة النثر الواردة في "السير والمغازي". 4. لغة الحديث النبوي.³ إذا كانت هذه الأربعة بمثابة المصادر الأولى للعربية الفصحى فإن القرآن والحديث النبوي ينبغي أن يتصدرا هذه التي سماها الأصناف، على خلاف في مصدرية الحديث والاحتجاج به في اللغة وتلك التي نالت حظاً واسعاً من المدارس والبحث.

"وخير ما خلف "فيشير" هو معجم اللغة العربية القديمة مرتباً على المصادر، وقد قضى أربعين سنة في جمع وتنسيقه، وقدم جذائحاته إلى الجمع اللغوي بمصر، وكان الدافع في التأليف هو الشعور بنقص المعاجم العربية وانفجارها إلى الشواهد في كل حالة. فجاء معجمه يستند في كل معنى ينطوي عليه اللفظ إلى شواهد خصوصاً الشعر الجاهلي والأموي على وجه التحديد، وأعلن عن مشروعه الأول عام 1907 أثناء انعقاد مؤتمر الفيلولوجيين الألمان في "بازل" 1907، ثم في المؤتمر الدولي المنعقد للمستشرقين في "كوبنهاجن" 1908. وجمع في معجمه العربية القديمة لغة الشعر من بدايته إلى العصر الأموي، ولغة القرآن ولغة الحديث، ولغة المؤرخين، واستغل المواد المعجمية التي خلفها "فليشير" و"توريكه" و"جولدسيهر" وغيرهم، وبدأ فيشر عمله سنة 1913 مستخرجاً مواداً من المعلقات والمفضليات والأصمعيات والحماسة والهاشميات، وشعر المراثي.. وفي الحديث اعتمد على البخاري، وأجزاء من تاريخ الطبري. فبلغ عدد الجذائحات في 1918 إثنا عشر ألف جذائحة وكان بمساعدة بعض الألمان والمصريين.¹ ولما أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر في 1932 عين فيشر عضواً فيه فاستأنف العمل بحماسة فصار يتردد على القاهرة في شتاء كل عام حتى 1939، ولما قامت الحرب لم يستطيع العودة إلى مصر بعد أن ألغيت عضويته في المجمع، ولكن مصير المواد التي جمعها وضعت لدى أمانة المجمع فضاعت ولم يبق منها إلا الترتير القليل، حاولت بعض الجامعات الألمانية الحصول عليها لاستكمال الجهد ولكنها فشلت "والملاحظ على إنتاج فيشر الاقتضاب وعدم التوسع في بعض أبواب النحر واللغة، فكانت غالبية أبحاثه تعليقات صغيرة، وتصحيحات لغوية مفيدة نذكر منها: "المسألة الزنبورية" وأسماء الإشارة للمؤنث: "هذه، ذه، ته، هذه، ذه، وهذه، ذهي، تهي" و"تركيب المصدر: ضرب عمرو زيد" و"الكلمة العربية أيش".²

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 303-304.

2- نفس المرجع، ص 404.

3- نفس المرجع، ص 405.

3. بروكلمان كارل Carl Brockelman

عاش بروكلمان ما بين 18 سبتمبر 1868 و6 ماي 1956 ولد في مدينة "روستوك" " كان أبوه تاجراً فيما يسمى بسلع المستعمرات، وكانت أمه كما يقول عنها كارل في ترجمته الذاتية سيدة موهوبة روحياً، ومنها ورثت ميولي العلمية، وهي التي فتحت لابنها آفاق الأدب الألماني ولكن من سوء الأحوال المالية عاشت الأسرة في ضيق شديد، وفي المدرسة الثانوية في "روستوك" بدأ يظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية يقول "بروكلمان": "وفي الصفوف العليا تجلت الميول التي ستسيطر على حياتي، بكل وضوح، وكانت هناك جمعية للقراءة تجتمع مرتين في الأسبوع لقراءة أبرز المجلات الجغرافية، وكان الوقت وقت الاكتشافات الجغرافية العظيمة في آسيا وإفريقيا، وعلى الطريق ارتبط خيالي بالشرق، وكنت أهتم في المقام الأول بما يرد فيها من أخبار عن اللغات، ولهذا فإنني وأنا لا أزال تلميذاً في المدرسة الثانوية وضعت مشروعاً لكتاب نحو لهجة "البانتو" التي كان يتكلم بها في المستعمرة البرتغالية "أنجولا" وكان أشد أمانني إلحاحاً علي أن أعيش فيما وراء البحار.³ درس بروكلمان على كثيرين العربية والحبشية، ففي أول أكتوبر 1890 عين مدرساً في المدرسة البروتستنتية في "اشتراسبورج" أولاً تحت التمرين ثم مساعداً وفي نفس الوقت واصل دراساته العربية. "وما لبث أن تبين له أنه لا مستقبل له في هذه الثانوية البروتستنتية قرر أن يبحر لوظيفة مدرس مساعد فيعد نفسه للانخراط في التدريس الجامعي فانتقل إلى "برسلاو" وحصل على الدكتوراه للتأهيل للتدريس في يناير 1893 برسالة عنوانها "عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي" تلقيح فهم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، أصدر معجماً سريانياً في فبراير 1895 ودعي إلى إعداد نشرة نقدية محققة لطبقات ابن سعد، والسفر إلى لندن واستبول فلم يكتف بمهمته حول الطبقات بل انتهز الفرصة فنسخ نسخة من "عيون الأخبار" لابن قتيبة، وعاد إلى "برسلاو" وكان بروكلمان مكلفاً بتحقيق الجزء الثامن من طبقات ابن سعد وتولى نشر عيون الأخبار بنفسه، ووجد في "قيمار" ناشراً مستعداً لتحمل النفقات بشرط أن يقدم له بروكلمان كتاباً آخر أكثر رواجاً فقرر أن يصنف كتابه العظيم "تاريخ الأدب العربي" امتد طبعه من 1898 إلى 1900 وكان بروكلمان يتقن إحدى عشر لغة شرقية.¹ رحل "كارل" عن عمر يناهز التسع والتسعين عاماً وترك بعده تراثاً واسعاً أبهر الكثيرين، وشكل مادة دسمة لأبحاثهم وطروحاتهم، وخدم هذا المستشرق الفذ التراث العربي، خدمة لا نظير لها بشهادة الدارسين للظاهرة الاستشراقية فعرف "بكثرة نشاطه وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق، والشمول والجدة، مما جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي، والأدب العربي، إذ قل منهم من لم يستند إليه فنوع إنتاجه ما بين نشر وترجمة، وتعليقات وشروحات وتحقيقات وتأليفات، فكتب: الكلمات اليونانية الدخيلة على الأرمنية. والمعجم السرياني، ورسالة في لحن العامة للكسائي مذيلة بتعليقات وفوائد، وعن كتابه في الأدب العربي النفيس عرض فيه تراجم العلماء والأدباء في العصور الإسلامية جمعاء، وذيل كل ترجمة بمصادرها، ووصف الكتب وميزاتها وتاريخ طبعها، ومكانها في

² نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص 415-416.

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 406.

نفس المرجع، ص 98.

الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوروبا، فجاء نموذجاً في ترتيبه وسعته ودقته وحسن إخراجها، نقل منه عبد الحليم النجار ثلاثة أجزاء إلى العربية، ونشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. وكتب عن قواعد علم النبر والعروض في اللغة السريانية، ومؤلفات ابن المقفع في البيان والبلاغة، وملاحظات على علمي النبر والصرف في العربية والآرامية وكتاب المفصل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية، والصيغ المتشابهة في اللغات السامية، والجوهري وترتيب المحجائية العربية، وأسماء التصغير والتكبير في اللغات السامية. وملاحظات على الصناعة لابن حني وما قاله في اسم الإشارة المؤنث، واشتقاقات مصرية قديمة ومناسبتها للغات السامية، واشترك مع "شبولير" و"هوفنر"، و"فوك" في تصنيف كتاب العربية فقها وأدبا كما أسهم كارل بدراسات واسعة جداً في دائرة المعارف الإسلامية^{3,2}.

4- "يوهان فوك" "Johann Fück" :

" ولد يوهان فوك في 8 جويلية 1894 بفرنكفورت أماين وتوفي في 24 نوفمبر 1974 بهاله كار. كاثوليكي المعتقد وكان أبوه نجاراً. درس الفيلولوجيا الكلاسيكية من 1913 إلى 1916 في جامعات هاله وبرلين وفرنكفورت، وما بين 1916 إلى 1917 أدى الخدمة العسكرية. وفي فبراير 1918 إلى 1920 بقي متربصاً في الجامعة وفي 1921 بدأ في التحضير لرسالة الدكتوراه في الفيلولوجيا، وما بين 1921 و1930 درس اللغة العربية في جامعة

فرنكفورت، وفي 1929 تخصص في الدراسات الإسلامية، في 1930 إلى 1935 انتقل إلى الهند أستاذاً وفي نفس الوقت كان مديراً لفرع اللغة العربية والإسلام، ثم من 1935 إلى 1938 درس العربية وعلومها في جامعة فرنكفورت وفي 1936 أصبح أستاذاً حراً (فوق العادة) في نفس الجامعة، وفي 1938 استدعى من قبل جامعة هاله ليؤسس مكتبة دول الشرق الأوسط وفي 1962 أحيل إلى التقاعد.

وقد امتاز يوهان فوك بأنه كان من المدرسين الممتازين يميل إلى البساطة، كان كثير التواضع دقيق الملاحظة حاضر النكتة، وكان حريصاً جداً على تنمية القدرات الكلامية عند طلابه، وكان يرفض أن يشرف غيره على تدريس اللغة العربية لشعوره بمسؤولية كبرى نحوها لاعتقاده أنه يملك أسرار العربية ما لا يملكه غيره خوفاً من التشويه والطمس. توفي في مدرج جامعة هاله وهو يلقي محاضرة وقد جاوز عمره الثمانين، وبوفاته فقدت الساحة العلمية الألمانية شخصية علمية غير عادية¹.

و لقد أحصى الباحثون للمستشرق "يوهان فوك" عدداً من المؤلفات والمقالات والبحوث نشرت في مجالات مختلفة، كان أغلبها يتمحور حول قضايا اللغة العربية وأبرز هذه الآثار: "العربية لغة وأسلوباً. في "برلين" 1950، وقد نقله إلى العربية عبد الحليم النجار في القاهرة 1951، ونقله إلى الفرنسية "نيزو"، ونشره بمقدمة المؤلف ومدخل "لكانتينو" في باريس 1955، وبمعاونة "بروكلمان"، و"شبولير"، و"هوفنر". وكتب: العربية فقها وأدبا،

- المرجع السابق، ص 100-105.

²- لا يسعنا المجال لذكرها لكثرتها وتنوعها ما بين شخصيات أدبية، ولغوية، وتاريخية، وإسلامية، وعلمية وغيرها..

³- نجيب العتيقي، المستشرقون، ج 2، ص 424 وما بعدها.

وَأَلَفَ "العربية" بحوث عن تاريخ لغتها وأسلوبها في ليدن 1954 ولغة: الدراسات العربية في أوروبا عام 1944-1955 في "لينزيغ" ومن ملاحظته: محمد بن إسحاق، وفي الآداب الشرقية كتب "القرآن" في 1933، "حديث البحاري" في 1938 و"الإسلام" في 1938، و"الصوفية" عام 1940، و"ترجمة القرآن" سنة 1944، "الروماني العربية" في 1953. وفي المجلة الشرقية الألمانية نشر فهرست ابن القيم وهو بعد طبعة جديدة له، و"أصالة النبي محمد" في 1936، و"تصغير الجمع" عام 1936، و"مكانة المحدثين في الإسلام" في 1939، و"أوجيست فيشير" في 1950، وفي غيرها "الحديث"، و"الكيمياء في كتاب الفهرست" في 1951، و"البيروني" في 1952، و"محمد بن عبد الله"، و"محمد إقبال" و"المعتزلة"، و"كارل بروكلمان". وكتب حول اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وهي الدين الأصفياني، وتقوم قرطبة، ومحمد بن سعيد العوفي وأصل التشريع الإسلامي. ² يبدو أن "يوهان" اعتمد ما اهتم به غيره من المستشرقين بحارح الدراسات اللغوية الذين كتبوا حول قضايا تقصدها، وكان لهم من ورائها مآرب وأغراض كموضوع الصرف الإسلامية، والتصوف والصوفية، وبعض الشخصيات الإسلامية والرموز التاريخية، والتي كانت لها مواقف متباينة. والأهم من هذه الدراسة هو الوقوف على ما ألفه "فك" حول العربية، وما دفع النظر به بعد عملاً رائداً يستحق التنويه، فحظي بالترجمة والتعليق والشروحات، فكان في المقام الأول كتابة "العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب".

- <http://www.catalogus-professorum-halensis.de/fueckjohann.html>, 29/06/2008

² نجيب العقيقي، المستشرقون، ص 463 - 464.

و في ختام هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج و هي :

- 1- ضرورة إخضاع الظاهرة الإستشراقية إلى المنطق العلمي الدقيق، و الرؤيا الموضوعية بعيداً
الأهواء و الأحكام المسبقة .
- 2- المدارس الإستشراقية ليست في موقع واحد في تعاملها مع التراث العربي و الحكم عليه و هي
تنطلق كلها من مواقف عدائية للعرب و المسلمين .
- 3- المدرسة الألمانية مثلت الإستشراق الإيجابي و المنصف أحسن تمثيل و بشكل عام .
- 4- ضرورة التمييز بين المدارس الإستشراقية بعد الدراسة الفاحصة المتأنية عند الوقوف على إشكالية
و الآخر .
- 5- تبقى العديد من العوائق التي تعترض طريق المستشرقين في قراءتهم للتراث العربي و الإسلامي قائمة
و من أبرزها : فهم اللغة العربية في ألفاظها و معانيها و أساليبها و بلاغتها ..
- 6- ان جهود المستشرقين في خدمة التراث جديرة بالتنويه والانصاف
- 7- اكتشاف تلقي الآخر للتراث العربي
- 8- الاستفادة من مناهج المستشرقين في تحقيق النصوص ونقدها
- 9- تشجيع طلبة الدراسات العليا على خوض غمار ميدان التحقيق رغم صعوبته
- 10- فتح مشاريع بحث حول تحقيق المخطوطات وفتح مخاير تأخذ على عاتقها مهمة الاهتمام بالمخطوط
- 11- تحديث عملية تحقيق المخطوطات واستثمار وسائل التكنولوجيا الحديثة
- 12- الخروج من الجهد الفردي في عملية تحقيق المخطوط الى العمل الجماعي نظراً للمشاق التي يلقاها
الموضوع الحساس